البسملة

وفيها ثمان[١] وعشرون مسألة:

الأولى: قال العلماءُ: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ قَسَمٌ من ربِّنا، أنزلَه عند رأس كلِّ سورة، يُقسِمُ لعباده: إنَّ هذا الذي وضعتُ لكم يا عبادي في هذه السورة حقٌّ، وإني أَفي لكم بجميع ما ضَمِنتُ في هذه السورةِ من وَعدِي ولُطفِي وبِرِّي[٢]. و﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ مما أنزله اللهُ تعالى في كتابِنا، وعلى هذه الأمةِ خصوصاً، بعد سليمانَ عليه السلام. وقال بعضُ العلماء: إنَّ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ تَضَمَّنَت جميعَ الشرع، لأنها تَدُلُّ على الذات وعلى الصِّفات. وهذا صحيحٌ.

الثانية: قال سعيد بن أبي سُكَينَة: بلغني أنَّ عليَّ بنَ أبي طالب رضي اللهُ عنه نَظَرَ إلى رجل يَكتُبُ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ فقال له: جَوِّدها، فإنَّ رجلاً جَوَّدَها، فَغُفِرَ له[٣].

ومِن هذا المعنى قِصَّةُ بِشرٍ الحافي[٤]، فإنه لمَّا رَفَعَ الرُّقعَةَ التي فيها اسمُ الله، وطَيَّبَها، طُيِّبَ اسمُه. ذكره القُشَيريُّ[٥].

وروى النسائي، عن أبي المَلِيح، عن رِدْفِ رسول الله ﷺ قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا عَثَرَت بك الدابَّةُ، فلا تَقُل: تَعَسَ الشيطانُ، فإنه يَتَعاظَمُ حتى يَصِيرَ مثلَ

= من الغلاة. وقد اعتذرَ الذهبي لإيراده، فقال: روايتُه إثم مكرر، فأستغفر الله العظيم، بل روايتي له لِهَتكِ حاله. ثم ساقه من طريق محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر، وقال: والحمل فيه عليه. وانظر تنزيه الشريعة المرفوعة ١/ ٣٦٠، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٣٧٤.

(١) في (د) و(ز) و(م): سبع، ووقع في (ظ): سبع ثمان، والمثبت يوافق عدد المسائل الواردة.

(٢) هذا كلام الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٤٠١.

(٣) أخرج البيهقي في شعب الإيمان (٢٦٦٧)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٥٣٣) عن علي رضي الله عنه قال: تَنَوَّق رجلٌ في «بسم الله الرحمن الرحيم» فغُفر له. وقوّاه ابن عراق في تنزيه الشريعة ١/ ٢٦٠ ـ مع أن في إسناده عمر بنَ حفص العدني، وهو ضعيف ـ وقال: له حكم الرفع.

(٤) المروزي، المحدِّث الزاهد، توفي سنة (٢٢٧هـ). سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٦٩.

(٥) الرسالة القشيرية ١/ ٨٩. وصاحب الرسالة هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الخراساني، الشافعي، مات سنة (٤٦٥هـ). السير ١٨/ ٢٢٧.

البيت، ويقول: بقوَّتي[١] صَنَعتُه، ولكن قُل: بسم الله[٢]، فإنه يَتَصاغَرُ حتى يَصِيرَ مثلَ الذُّبابِ[٣].

وقال عليُّ بنُ الحسين[٤] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]؛ قال: معناه: إذا قلتَ: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾[٥].

وروى وكيعٌ، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: مَن أراد أَن يُنجِيَه اللهُ من الزَّبانِية التسعةَ عشرَ، فَلْيَقْرَأْ: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ ليجعلَ اللهُ تعالى له بكلِّ حرف منها جُنَّةً مِن كلِّ واحد[٦].

فالبَسمَلةُ تسعةَ عشرَ حرفاً، على عدد ملائكة أهلِ النارِ الذين قال الله فيهم: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠] وهم يقولون في كلِّ أفعالهم: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾، فَمِن هنالك قُوَّتُهم[٧]، وببسم الله استضلعوا[٨].

قال ابن عطية: ونظيرُ هذا قولُهم في ليلة القدر: إنها ليلةُ سبع وعشرين، مراعاةً للفظة «هي» من كلمات[٩] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ [القدر: ١]. ونظيرُه أيضا قولُهم في عدد الملائكة الذين ابتدروا قولَ القائل: ربَّنا ولك الحمدُ حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه، فإنها بِضعةٌ وثلاثون حرفاً، فلذلك قال النبيُّ ﷺ: «لقد رأيتُ بِضعةً وثلاثين مَلَكاً يَبتَدِرونها أيُّهم يكتُبها أوَّل»[١٠]. قال ابن عطية: وهذا من مُلَحِ التفسير، وليس من متين العلم[١١].

---

(١) في (م): بقوته.

(٢) في (م): بسم الله الرحمن الرحيم.

(٣) سنن النسائي الكبرى (١٠٣١٢)، وهو في مسند أحمد (٢٠٥٩١). وفيه: بقوتي صرعتُه.

(٤) ابن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو الحسين، زين العابدين، توفي سنة (٩٢هـ)، وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦.

(٥) المحرر الوجيز ١/ ٦٠. وسيذكره المصنف عند تفسير الآية (٤٦) من سورة الإسراء.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور ١/ ٩ ونسبه لوكيع والثعلبي.

(٧) في (م): هي قوتهم.

(٨) المحرر الوجيز ١/ ٦١.

(٩) في (م): كلمات سورة.

(١٠) أخرجه أحمد في المسند (١٨٩٩٦)، والبخاري (٧٩٩) من حديث رفاعة بن رافع الزرقي.

(١١) المحرر الوجيز ١/ ٦١.

الثالثة: روى الشعبيُّ والأعمشُ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَكتُبُ: «باسمك اللهُمَّ» حتى أُمِرَ أن يَكتُبَ ﴿بسم الله﴾ فكتَبَها، فلما نزلت: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، كتب: ﴿بسم الله الرحمٰن﴾ فلما نزلَت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، كتبها[١].

وفي «مصنف» أبي داود: قال الشعبيُّ وأبو مالك[٢] وقتادةُ وثابتُ بن عُمارةَ[٣]: إنَّ النبيَّ ﷺ لم يَكتُب ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ حتى نزلت سورةُ النمل[٤].

الرابعة: رُوِيَ عن جعفر الصادق[٥] رضي الله عنه، أنه قال: البسملةُ تِيجانُ السُّورَ[٦].

قلت: وهذا يَدُلُّ على أنها ليست بآية من الفاتحة، ولا غيرها.

وقد اختلف العلماءُ في هذا المعنى على ثلاثةِ أقوال:

الأول: ليست بآية لا في[٧] الفاتحة، ولا غيرها. وهو قولُ مالك.

الثاني: أنها آيةٌ من كلِّ سورة. وهو قولُ عبد الله بنِ المبارك.

الثالث: قال الشافعي: هي آيةٌ في الفاتحة. وتَردَّدَ قولُه في سائر السُّوَر، فمرَّةً قال: هي آيةٌ من كلِّ سورة، ومرَّةً قال: ليست بآية إلا في الفاتحة وحدَها. ولا خلافَ بينهم على[٨] أنها آيةٌ من القرآن في سورة النمل[٩].

واحتجَّ الشافعي بما رواه الدارقطني[١٠] من حديث أبي بكر الحنفي، عن

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ٦١، وأخرج نحوه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٨١ عن الشعبي وحده، وانظر الدر المنثور ٥/ ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) غزوان الغفاري الكوفي، مشهور بكنيته، ثقة، من رجال التهذيب، وينظر تحفة الأشراف ١٣/ ٣٣٠.

(٣) البصري الحنفي، صدوق، من رجال التهذيب، مات سنة (١٤٩هـ).

(٤) سنن أبي داود بإثر الحديث (٧٨٧)، وهو مرسل.

(٥) هو ابن محمد بن علي بن الحسين، أبو عبد الله الهاشمي، وهو من جِلَّة علماء المدينة، توفي سنة (١٤٨هـ). سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥.

(٦) المحرر الوجيز ١/ ٦٠.

(٧) في (م): من.

(٨) في (م): في.

(٩) الاستذكار ٤/ ٢٠٥، والتمهيد ٢٠/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧ لابن عبد البر.

(١٠) في السنن ١/ ٣١٢. وأبو بكر الحنفي: هوعبد الكبير بن عبد المجيد. وقد وقع أخطاء في اسمه واسم شيخه في النسخ الخطية.

عبد الحميد بن جعفر، عن نوح بن أبي بلال، عن سعيد بن أبي سعيد المَقبُرِيِّ، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا قرأتُم: الحمد لله ربِّ العالمين، فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم، إنها أُمُّ القرآن، وأمُّ الكتاب، والسَّبعُ المثاني، وبسم الله الرحمن الرحيم أحدُ آياتِها[١]». رَفَعَ هذا الحديثَ عبدُ الحميد بن جعفر[٢]، وعبدُ الحميد هذا: وَثَّقَه أحمدُ بنُ حنبل، ويحيى بنُ سعيد، ويحيى بنُ مَعِين. وأبو حاتم[٣] يقول فيه: مَحلُّه الصِّدق. وكان سفيانُ الثوريُّ يُضَعِّفُه، ويَحمِلُ عليه. ونوحُ بنُ أبي بلال ثقةٌ مشهورٌ.

وحُجَّةُ ابن المبارك، وأحدِ قولي الشافعي، ما رواه مسلمٌ عن أنس قال: بَيْنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم بين أظهرنا، إذْ أَغْفَى إغفاءةً، ثم رفع رأسَه مُتَبَسِّماً، فقلنا: ماأَضحَكَكَ يا رسولَ الله؟ قال: «نَزلَت عليَّ آنِفاً سورةٌ»، فقرأ: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم، إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾. وذكر الحديث[٤]، وسيأتي بكماله في سورة الكوثر إن شاء الله تعالى.

الخامسة: الصحيحُ من هذه الأقوالِ قولُ مالك، لأنَّ القرآنَ لا يَثبُتُ بأخبار الآحاد، وإنما طريقُه التواترُ القطعيُّ الذي لا يُختَلَفُ فيه. قال ابنُ العربي: ويكفيك أنها ليست من القرآن اختلافُ الناسِ فيها، والقرآنُ لا يُختَلَفُ فيه[٥].

والأخبارُ الصِّحاحُ التي لا مَطعَنَ فيها دالَّةٌ على أنَّ البسملةَ ليست بآية من الفاتحة، ولا غيرها، إلا في النمل وحدَها. روى مسلم عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قال اللهُ عز وجل: قَسَمتُ الصلاةَ بيني وبين عَبدي نِصفَين، ولِعبدي ما سأل، فإذا قال العبدُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، قال اللهُ تعالى: حَمِدَني عبدي، وإذا قال العبدُ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال اللهُ تعالى: أثنى عَلَيَّ عبدي، وإذا قال العبدُ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: مَجَّدَني عبدي ـ وقال مرَّة: فَوَّضَ إليَّ عبدي ـ

---

(١) في سنن الدارقطني: إحداها.

(٢) ونقل الدارقطني بإثر الحديث عن أبي بكر الحنفي قوله: ثم لقيتُ نوحاً (يعني ابن أبي بلال) فحدثني به عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، بمثله، ولم يرفعه.

(٣) محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، الناقد، شيخ المحدّثين، مات سنة (٢٧٧هـ). السير ١٣/ ٢٤٧.

(٤) صحيح مسلم (٤٠٠)، وهو في مسند أحمد (١١٩٩٦).

(٥) أحكام القرآن ١/ ٢ ووقع في (د) و(ز): لا يختلف الناس فيه.

فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»[١].

فقولُه سبحانه: «قَسَمتُ الصلاةَ»: يريدُ الفاتحةَ، وسَمَّاها صلاة، لأنَّ الصلاةَ لا تَصِحُّ إلا بها، فجعل الثلاثَ الآياتِ الأُوَلَ لنفسه، واختصَّ بها تباركَ اسمُه، ولم يختلف المسلمون فيها. ثم الآيةُ الرابعةُ جعلها بينه وبين عبده؛ لأنها تضمَّنَت تذَلُّلَ العبد، وطلبَ الاستعانةِ منه، وذلك يَتَضَمَّنُ تعظيمَ الله تعالى، ثم ثلاثُ آيات تتمةَ سبع آيات.

ومما يَدُلُّ على أنها ثلاثٌ قولُه: «هؤلاء لعبدي». أخرجه مالك[٢]. ولم يَقُل: هاتان، فهذا يَدُلُّ على أنَّ ﴿أَنْعَمْتَ عليهم﴾ آيةٌ. قال ابنُ بُكَير[٣]: قال مالكٌ: ﴿أَنْعَمْتَ عليهم﴾ آيةٌ. ثم الآيةُ السابعةُ إلى آخرها.

فثبتَ بهذه القِسمةِ التي قَسَمَها اللهُ تعالى، وبقوله عليه السلام لأُبَيٍّ: «كيف تَقرأُ إذا افتَتَحتَ الصلاةَ؟» قال: فقرأتُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى أتيتُ على آخرها[٤] أنَّ البسملةَ ليست بآية منها. وكذا عدَّ أهلُ المدينة وأهلُ الشام وأهلُ البصرة. وأكثرُ القُرَّاء عَدُّوا ﴿أنعمت عليهم﴾ آية. وكذا روى قتادةُ، عن أبي نَضْرةَ، عن أبي هريرةَ قال: الآيةُ السادسةُ: ﴿أنعمت عليهم﴾[٥]. وأمَّا أهلُ الكوفة من القُرَّاء والفقهاء، فإنهم عَدُّوا فيها ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾، ولم يَعُدُّوا ﴿أنعمت عليهم﴾[٦].

فإن قيل: فإنها ثَبَتَت في المُصحفِ، وهي مكتوبةٌ بخطِّه، ونُقِلَت نَقْلَه، كما نُقِلَت في «النمل»، وذلك متواترٌ عنهم؟

---

(١) صحيح مسلم (٣٩٥). وهو في مسند أحمد (٧٢٩١).

(٢) الموطأ ١/ ٨٤ ـ ٨٥، وهو في مسند أحمد (٩٩٣٢).

(٣) يحيى بن عبد الله المخزومي مولاهم، أبو زكريا المصري، تكلموا في سماعه من مالك، توفي سنة (٢٣١هـ). تهذيب التهذيب ٤/ ٣٦٨.

(٤) قطعة من حديث أخرجه مالك في الموطأ ١/ ٨٣.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٦، ونسبه للثعلبي.

(٦) الاستذكار ٤/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢، والتمهيد ٢٠/ ٢٠٠ ـ ٢٠١.

قلنا: ما ذكرتموه صحيحٌ، ولكن لكونها قرآناً، أو لكونها[١] فاصِلةً بين السور. كما رُويَ عن الصحابة: كُنَّا لا نَعرِفُ انقضاءَ السورة حتى تَنزِلَ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ أخرجه أبو داود[٢]. أو تبرُّكاً[٣] بها، كما قد اتَّفقَتِ الأمَّةُ على كَتبِها في أوائل الكُتُبِ والرسائل. كل ذلك محتمل.

وقد قال الجُرَيْريُّ: سُئل الحسنُ عن ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾؟ قال: في صدور الرسائل[٤].

وقال الحسنُ أيضاً: لم تَنزِلْ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ في شيء من القرآن إلا في «طس»: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٥] [النمل: ٣٠].

والفَيصَلُ أنَّ القرآنَ لا يَثبُتُ بالنظر والاستدلال، وإنما يَثبُتُ بالنقل المتواتر القطعيِّ الاضطراري. ثم قد اضطربَ قولُ الشافعي فيها في أوَّل كلِّ سورة، فَدَلَّ على أنها ليست بآية من كلِّ سورة. والحمد لله.

فإن قيل: فقد روى جماعةٌ قراءتها[٦]، وقد تولَّى الدارقطنيُّ جمعَ ذلك في جُزء صَحَّحَهُ[٧].

قلنا: لسنا نُنكِرُ الروايةَ بذلك، وقد أشرنا إليها، ولنا أخبارٌ ثابتةٌ في مقابلتها، رواها الأئمةُ الثِّقاتُ، والفقهاءُ الأثباتُ. رَوَت عائشةُ في «صحيح» مسلم قالت: كان رسولُ الله ﷺ يَستفتِحُ الصلاةَ بالتكبير، والقراءةَ بالحمدُلله ربِّ العالمين، الحديث. وسيأتي بكماله[٨].

---

(١) في (د) و(ز): ولكونها.

(٢) (٧٨٨) من حديث ابن عباس، ولفظه: كان النبي ﷺ لا يعرفُ فَصْلَ السورة حتى تنزل عليه «بسم الله الرحمن الرحيم».

(٣) في النسخ الخطية: وتبركاً، والمثبت من (م).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١٢٣). الجُريري: هو سعيد بن إياس أبو مسعود، والحسن: هو البصري.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١١/ ٥٣٨ من قول عبد الله بن معبد الزِّمَّاني.

(٦) في (م): قرآنيَّتها.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٣.

(٨) صحيح مسلم (٤٩٨). وهو في مسند أحمد (٢٤٠٣٠)، وسيذكره المصنف أيضاً ص ٢٦٩ عند تفسير الآية (٣) في المسألة العشرين، والآية (٤٣) المسألة السابعة، كلتاهما في سورة البقرة.

وروى مسلم أيضاً، عن أنس بن مالك قال: صلَّيتُ خلفَ النبيِّ ﷺ وأبي بكر وعمرَ، فكانوا يستفتحون بالحمدُ لله ربِّ العالمين، لا يذكُرون ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ لا في أوَّل قراءة، ولا في آخِرها[١].

ثم إنَّ مذهبَنا يترجَّحُ في ذلك بوجهٍ عظيم، وهو المعقولُ، وذلك أنَّ مسجدَ النبيِّ ﷺ بالمدينةِ انقَرضَتْ[٢] عليه العصورُ، ومرَّت عليه الأزمنةُ والدُّهورُ، من لَدُنْ رسولِ الله ﷺ إلى زمان مالك، ولم يَقرَأْ أحدٌ فيه قَطُّ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ اتِّباعاً للسُّنَّةِ، وهذا يَرُدُّ أحاديثَكم. بَيْدَ أنَّ أصحابَنا استحبُّوا قراءَتها في النَّفل. وعليه تُحمَلُ الآثارُ الواردةُ في قراءتها، أو على السَّعةِ في ذلك[٣].

قال مالكٌ: ولا بأسَ أن يقرأَ بها في النافلة، ومَن يعرِضُ القرآنَ عَرْضاً.

وجُملةُ مذهب مالك وأصحابه: أنها ليست عندهم آيةً من فاتحة الكتاب ولا غيرها، ولا يقرأُ بها المصلِّي في المكتوبة [في فاتحة الكتاب] ولا في غيرها سرًّا ولا جَهْراً[٤]، ويجوزُ أن يقرأَها في النوافل. هذا هو المشهورُ من مذهبه عند أصحابه[٥]. وعنه روايةٌ أخرى: أنها تُقرَأُ أوَّلَ السورة في النوافل، ولا تقرأُ أوَّلَ أُمِّ القرآن[٦]. وروى عنه ابنُ نافع ابتداءَ القراءة بها في الصلاة؛ الفَرضِ والنَّفل، ولا تُترَكُ بحال[٧].

ومِن أهل المدينة مَن يقولُ: إنه لابُدَّ فيها من ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾، منهم ابنُ عمر، وابنُ شهاب. وبه قال الشافعيُّ، وأحمدُ، وإسحاقُ[٨]، وأبو ثور[٩]، وأبو

---

(١) صحيح مسلم (٣٩٩): (٥٢) وفيه أيضاً: وعثمان، وهو في المسند (١٣٣٣٧).

(٢) في (م): انقضت.

(٣) من قوله: ثم إن مذهبنا يترجح ... من أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ٣ بتصرف يسير.

(٤) في (ظ): لا يصلي بها المصلي في المكتوبة لا سرًّا ولا جهراً.

(٥) الاستذكار ٤/ ٢٠٥، والتمهيد ٢٠/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧. وما بين حاصرتين منهما.

(٦) النوادر والزيادات ١/ ١٧٢ ـ ١٧٣.

(٧) الذي في الاستذكار ٤/ ٢٠٥ أن هذا القول لابنِ نافع ـ وهو عبد الله بنُ نافع الصائغ ـ من رواية يحيى بن يحيى عنه، فلعل الصواب في العبارة أن يقال: ورُوي عن ابن نافع...

(٨) ابن إبراهيم بن مخلد ابن راهويه، أبو يعقوب التميمي، المروزي، نزيل نيسابور، مات سنة (٢٣٨هـ). السير ١١/ ٣٥٨.

(٩) هو إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي، الحافظ الفقيه، مات سنة (٢٤٠هـ)، السير ١٢/ ٧٢.

عُبيد. وهذا يَدُلُّ على أنَّ المسألةَ مسألةٌ اجتهاديَّةٌ، لا قطعيَّةٌ كما ظَنَّهُ بعضُ الجُهَّال من المُتَفَقِّهةِ، الذي يَلزَمُ على قوله تكفيرُ المسلمين، وليس كما ظَنَّ، لوجودِ الاختلافِ المذكورِ. والحمدُ لله.

وقد ذهب جَمعٌ من العلماء إلى الإسرار بها مع الفاتحة، منهم أبو حنيفةَ والثَّوريّ، ورُوِيَ ذلك عن عمرَ، وعليٍّ، وابنِ مسعود، وعمَّار، وابنِ الزبير. وهو قولُ الحَكَم وحمَّاد. وبه قال أحمدُ بنُ حنبل وأبو عُبيد، ورُوِيَ عن الأوزاعيِّ مثلُ ذلك. حكاه أبو عمر بن عبد البَرِّ في «الاستذكار»[١].

واحتجُّوا من الأثر في ذلك بما رواه منصورُ بن زاذان، عن أنس بن مالك قال: صلَّى بنا رسولُ الله ﷺ، فلم يُسمِعنا قراءةَ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾[٢]. وما رواه عمَّار بن رُزَيق، عن الأعمش، عن شُعبةَ، عن ثابت، عن أنس قال: صلَّيتُ خلفَ النبيِّ ﷺ، وخلفَ أبي بكر وعمرَ، فلم أَسمَعْ أحداً منهم يجهرُ ببسم الله الرحمن الرحيم[٣].

قلتُ: هذا قولٌ حسنٌ، وعليه تَتَّفِقُ الآثارُ عن أنس، ولا تَتَضادُّ، ويُخرَجُ به من الخلاف في قراءة البسملة.

وقد رُوي عن سعيد بن جُبير قال: كان المشركون يَحضُرون المسجد[٤]، فإذا قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ قالوا: هذا محمدٌ يذكُر رحمانَ اليمامة - يعنون مُسَيلِمةَ - فأُمِرَ أن يُخافِتَ ببسم الله الرحمن الرحيم، ونزلَ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠][٥].

قال الترمذيُّ الحكيم أبو عبد الله[٦]: فبقي ذلك إلى يومنا هذا على ذلك الرَّسمِ،

---

(١) ٤/ ٢٠٧.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الصغرى ٢/ ١٣٥.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٣٧٨٤). ومن قول المصنف: واحتجوا من الأثر في ذلك... من الاستذكار ٤/ ٢١٠ - ٢١١.

(٤) في (م): بالمسجد.

(٥) أخرجه أبو داود في المراسيل (٣٤). وفي إسناده شريك بن عبد الله النَّخَعي، قال الحافظ في التقريب: يخطىء كثيرا.

(٦) في نوادر الأصول ص٣٩٣، وقد نقل منه المصنف من قوله: وقد رُوي عن سعيد بن جبير ...

وإن زالت العِلَّةُ، كما بقيَ الرَّمَلُ في الطَّوافِ، وإن زالتِ العِلَّةُ، وبَقِيَت المُخافَتَةُ في صلاة النهار، وإن زالت العِلَّةُ.

السادسة: اتَّفقَتِ الأمَّةُ على جواز كَتْبِها في أوَّل كلِّ كتاب من كُتُبِ العلم والرسائل، فإن كان الكتابُ ديوانَ شِعر؛ فروى مُجالدٌ، عن الشَّعبيِّ قال: أجمَعُوا ألا يكتُبوا أمامَ الشِّعر ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾. وقال الزُّهري: مَضَتِ السُّنَّةُ ألا يكتُبوا في الشعر ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾. وذهب إلى رَسْمِ التَّسميةِ في أوَّل كُتُبِ الشعر سعيدُ بن جُبير، وتابعه على ذلك أكثرُ المتأخِّرين. قال أبو بكر الخطيبُ: وهو الذي نختارُه، ونَستَحِبُّه[١].

السابعة: قال الماورديُّ[٢]: ويقال لمن قال: بسم الله: مُبَسْمِلٌ، وهي لغةٌ مُوَلَّدةٌ، وقد جاءَت في الشعر، قال عمرُ بن أبي ربيعةَ[٣]:

لقد بَسْمَلَتْ ليلى غَداةَ لَقِيتُها ... فيا حَبَّذا ذاك الحبيبُ المُبَسْمِلُ[٤]

قلت: المشهورُ عن أهل اللغة: بَسمَلَ. قال يعقوبُ بن السِّكِّيت[٥] والمُطَرِّز[٦] والثعالبيُّ[٧] وغيرُهم من أهل اللُّغة: بَسمَلَ الرجلُ؛ إذا قال: بسم الله. يقال: قد

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٤٠٥ ـ ٤٠٧.

(٢) في تفسيره النكت والعيون ١/ ٥٠. والماوردي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الشافعي، أقضى القضاة، صاحب التصانيف، اتهمه ابن الصلاح بالاعتزال، وقال ابن حجر في لسان الميزان ٤/ ٢٦٠: ولا ينبغي أن يطلق عليه اسم الاعتزال، مات سنة (٤٠٥هـ). سير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٤.

(٣) أبو الخطاب المخزومي، شاعر قريش، ولد ليلة مقتل عمر رضي الله عنه، واستشهد غازياً في البحر سنة (٩٣هـ). السير ٤/ ٣٧٩.

(٤) ديوانه ص ١١٧.

(٥) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السِّكِّيت، البغدادي، النحوي، المؤدب، صاحب إصلاح المنطق. توفي سنة (٢٤٤هـ). سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٦.

(٦) محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد، اللغوي، المعروف بغلام ثعلب، له من التصانيف: اليواقيت، و شرح الفصيح، وفائت الفصيح، وغريب مسند أحمد، وغيرها. توفي سنة (٣٤٥هـ). بغية الوعاة ١/ ١٦٤.

(٧) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري شيخ العربية، الشاعر. صاحب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر و فقه اللغة، توفي سنة (٤٣٠هـ). سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٣٧.

أكثرت من البسملة، أي: من قول بسم الله، ومثلُه: حَوْقَلَ الرجلُ؛ إذا قال: لا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلا بالله، وهَلَّلَ؛ إذا قال: لا إلهَ إلا اللهُ، وسَبْحَلَ؛ إذا قال: سبحانَ الله، وحَمدَلَ؛ إذا قال: الحمدُ لله، وحَيْصَلَ[١]؛ إذا قال: حَيَّ على الصلاة[٢]، وجَعفَلَ[٣]؛ إذا قال: جُعِلتُ فِداكَ، وطَبقَلَ[٤]؛ إذا قال: أطال اللهُ بقاءَك، ودَمْعَزَ؛ إذا قال: أدامَ اللهُ عِزَّكَ، وحَيفَل[٥]؛ إذا قال: حيَّ على الفلاح. ولم يَذكُرِ المُطَرِّزُ الحَيصَلَةَ؛ إذا قال: حيَّ على الصلاة، وجَعفَلَ؛ إذا قال: جُعِلتُ فِداكَ، وطَبقَلَ؛ إذا قال: أطالَ الله بقاءَك، ودَمعَزَ؛ إذا قال: أدام اللهُ عِزَّكَ.

الثامنة: نَدَبَ الشَّرعُ إلى ذِكرِ البسملة في أوَّلِ كلِّ فِعل، كالأكلِ والشُّرب، والنَّحرِ، والجِماع، والطَّهارة، وركوبِ البحر، إلى غير ذلك من الأفعال، قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٨]. ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود:٤١]. وقال رسولُ الله ﷺ: «أغلِق بابَك، واذكُرِ اسمَ الله، وأطفِئ مِصباحَكَ، واذكُرِ اسمَ الله، وخَمِّر إناءَك، واذكُرِ اسمَ الله، وأوكِ سِقاءَك، واذكُرِ اسمَ الله»[٦]، وقال: «لو أنَّ أحدَكم إذا أرادَ أن يأتيَ أهلَه قال: بسم الله، اللهمَّ جَنِّبنا الشيطانَ، وجَنِّبِ الشيطانَ مارَزَقتَنا، فإنه إن يُقَدَّر بينهما ولدٌ في ذلك، لم يَضُرَّه شيطانٌ أبداً»[٧] وقال لعمرَ بنِ أبي سَلَمةَ[٨]: «يا غلامُ، سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ

(١) في (د): حيعل.

(٢) في فقه اللغة للثعالبي ص ٢٢٥: الحيعلة: حكاية قول المؤذن: حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح.

(٣) وكذا ذكر ابن القطاع في الأفعال١/ ١٩٧: جعفل. وأورد السيوطي في المزهر ١/ ٤٨٣ عن ابن السِّكيت وغيره أن حكاية قول القائل: جعلت فداك: الجعفدة.

(٤) ذكر الثعالبي في فقه اللغة ص ٢٢٥ أن الطَّلبَقَةَ حكاية قول القائل: أطال الله بقاءك.

(٥) في (ظ): حيعل.

(٦) أخرجه أحمد في المسند (١٤٤٣٤)، والبخاري (٣٢٨٠) بأتمَّ منه من حديث جابر رضي الله عنه.

(٧) أخرجه أحمد في المسند (١٨٦٧)، والبخاري (٦٣٨٨)، ومسلم (١٤٣٤) من حديث ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٨) القرشي، المخزومي، الحبشي المولد، زَوَّجَ أمَّه بالنبي ﷺ وهو صبي. توفي سنة (٥١هـ). السير ٣/ ٤٠٦.

مما يَلِيكَ»[١]، وقال: «إنَّ الشيطانَ لَيَستَحِلُّ الطَّعام ألَّا[٢] يُذكَرَ اسمُ اللهِ عليه»[٣]. وقال: «مَن لم يَذبَح، فَليَذبَح باسمِ الله»[٤]، وشكا إليه عثمانُ بنُ أبي العاص[٥] وَجَعاً يَجِدُه في جسدِه منذ أسلمَ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «ضَع يدَكَ على الذي يألمُ[٦] مِن جَسَدِك، وقُل: بسم اللهِ ثلاثاً، وقُل سبعَ مرَّات: أعوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وقُدرَتِهِ من شَرِّ ما أَجِدُ وأُحاذِرُ»[٧]. هذا كلُّه ثابتٌ في الصحيح.

وروى ابنُ ماجه والترمذيُّ عن النبيِّ ﷺ قال: «سَترُ ما بين الجِنِّ وعوراتِ بني آدمَ؛ إذا دَخَلَ الكَنِيفَ أن يقولَ: بسم الله»[٨].

وروى الدارقطنيُّ عن عائشةَ قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا مَسَّ طَهُورَه، سَمَّى الله تعالى، ثم يُفرِغُ الماءَ على يديه[٩].

التاسعة: قال علماؤنا: وفيها ردٌّ على القَدَرِيَّةِ وغيرهم ممن يقول: إنَّ أفعالَهم مقدورةٌ لهم. وموضعُ الاحتجاج عليهم من ذلك أنَّ اللهَ سبحانه أمرَنا عند الابتداء بكلِّ فِعلٍ أن نَفتَتِحَ بذلك، كما ذكرنا.

فمعنى «بسم الله» أي: بالله، ومعنى «بالله» أي: بِخَلقِه وتقديرِه يُوصَلُ إلى ما يُوصَلُ إليه. وسيأتي لهذا مزيدُ بيانٍ إن شاء اللهُ تعالى.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٦٣٣٢)، والبخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢) من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه.

(٢) في (ظ): إلا أن.

(٣) قطعة من حديث حذيفة رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٢٣٢٤٩)، ومسلم (٢٠١٧).

(٤) قطعة من حديث جندب بن سفيان البجلي رضي الله عنه، أخرجه أحمد (١٨٨١٥)، والبخاري (٩٨٥)، ومسلم (١٩٦٠).

(٥) أبو عبد الله الثقفي، الطائفي، وفد مع قومه على النبي ﷺ سنة تسع فأسلموا، وأمَّرَه عليهم، وكان أصغرهم سنًّا، توفي سنة (٥١هـ). السير ٢/ ٣٧٤.

(٦) في (م): تألم.

(٧) أخرجه أحمد (١٦٢٦٨) (دون ذكر التسمية)، ومسلم (٢٢٠٢)، واللفظ له، من حديث عثمان بن أبي العاص، رضي الله عنه.

(٨) سنن ابن ماجه (٢٩٧)، وسنن الترمذي (٦٠٦)، وهو من حديث علي رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بذاك القوي.

(٩) سنن الدارقطني ١/ ٧٢، وفيه: يسمِّي، بدل: سمَّى.

وقال بعضُهم: معنى قوله: «بسم الله» يعني: بدأتُ بعون الله وتوفيقه وبَرَكَتِه. وهذا تعليمٌ من الله تعالى عبادَه، لِيَذكُروا اسمَه عند افتتاحِ القراءةِ وغيرِها، حتى يكونَ الافتتاحُ ببركةِ اسمِه[١] جلَّ وعزَّ.

العاشرة: ذَهَبَ أبو عُبيدة مَعمَرُ بنُ المُثَنَّى إلى أنَّ «اسم» صِلَةٌ زائدةٌ، واستشهدَ بقول لَبِيد[٢]:

إلى الحَولِ ثمَّ اسمُ السَّلامِ عليكُما ومَن يَبكِ حَوْلاً كاملاً فقدِ اعتَذَر

فَذِكرُ «اسم» زيادةٌ، وإنما أراد: ثم السلامُ عليكما[٣].

وقد استدلَّ علماؤُنا بقول لَبِيد هذا على أنَّ الاسمَ هو المسمَّى. وسيأتي الكلامُ فيه في هذا البابِ وغيره، إن شاء الله تعالى[٤].

الحادية عشرة: اختُلِفَ في معنى زيادةِ «اسم». فقال قُطرُبٌ[٥]: زِيدَت لإجلال ذِكرِه تعالى وتعظيمِه. وقال الأَخفشُ[٦]: زِيدَت ليخرجَ بذِكرِها من حُكمِ القَسَمِ إلى قَصدِ التبرُّك، لأنَّ أصلَ الكلام: بالله.

الثانية عشرة: اختلفوا أيضاً في معنى دخولِ الباء عليه، هل دَخَلَت على معنى الأمرِ، والتقديرُ: اِبدَأ بسم الله؟ أو على معنى الخبرِ، والتقديرُ: اِبتدأتُ بسم الله[٧]؟ قولان: الأوَّلُ للفرَّاء، والثاني للزجَّاج[٨]. فـ«بسم» في موضع نصب على التأويلين. وقيل: المعنى: ابتدائي بسم الله، فـ«بسم الله» في موضع رَفعِ خبرُ الابتداء.

---

(١) في (م): ببركة الله.

(٢) ابن ربيعة العامري، الصحابي، الشاعر، قال الشعر في الجاهلية دهراً ثم أسلم، وعُمِّرَ طويلاً. مات في الكوفة سنة (٤١هـ). الإصابة ٩/ ٦. والبيت في ديوانه ص ٧٩.

(٣) من قوله: ذهب أبو عبيدة... من تفسير الماوردي ١/ ٤٧، وقد نقل قولَ أبي عبيدة ابنُ جني في الخصائص ٣/ ٢٩.

(٤) ص ١٥٦، وفي المسألة الثالثة من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(٥) محمد بن المستنير أبو علي النحوي اللغوي، أخذ عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين. من كتبه معاني القرآن، والاشتقاق. توفي سنة (٢٠٦هـ). إنباه الرواة ٣/ ٢٢١.

(٦) سعيد بن مسعدة، أبو الحسن البلخي البصري، إمام النحو، المعروف بالأخفش الأوسط، تلميذ سيبويه، مات سنة نيف عشرة ومئتين. السير ١٠/ ٢٠٨.

(٧) في (د) و(ز): وتقديره ابتدأت بسم الله.

(٨) النكت والعيون ١/ ٤٧ ـ ٤٨.

وقيل: الخبرُ محذوفٌ، أي: ابتدائي مستقرٌّ أو ثابتٌ بسم الله، فإذا أظهرتَه، كان «بسم الله» في موضعِ نصبٍ بثابت أو مستقر، وكان بمنزلة قولِكَ: زيدٌ في الدار. وفي التنزيل: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: ٤٠] فـ«عندَه» في موضعِ نصبٍ، رُوي هذا عن نُحاةِ أهلِ البصرة.

وقيل: التقديرُ: ابتدائي بسم الله موجودٌ، أو ثابتٌ، فـ«باسم» في موضعِ نصب بالمصدر الذي هوابتدائي.

الثالثة عشرة: «بسم الله» تُكتَبُ بغير ألف، استُغنيَ[١] عنها بباء الإلصاقِ[٢] في اللَّفظ والخطِّ، لكَثرةِ الاستعمال، بخلاف قوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، فإنها لم تُحذَف، لقِلَّةِ الاستعمال. واختلفوا في حَذفِها مع الرحمن والقاهر. فقال الكِسائيُّ وسعيدٌ الأخفشُ: تُحذَفُ الألفُ. وقال يحيى بنُ زياد[٣]: لا تُحذَفُ إلا مع «بسم الله» فقط، لأنَّ الاستعمالَ إنما كَثُرَ فيه[٤].

الرابعة عشرة: واختُلِفَ في تخصيص باء الجرِّ بالكسر على ثلاثةِ معانٍ، فقيل: لِيُناسِبَ لفظُها عملَها. وقيل: لمَّا كانت الباءُ لا تَدخُلُ إلا على الأسماء، خُصَّت بالخَفْضِ الذي لا يكون إلا في الأسماءِ. الثالث: لِيُفَرَّقَ بينها وبين ما قد يكونُ من الحروف اسماً، نحو الكاف في قول الشاعر[٥]:

ورُحْنَا بِكَابْنِ الماءِ يُجْنَبُ وَسْطَنا

أي: بمثل ابْنِ الماء، وما[٦] كان مثلُه.

الخامسة عشرة: «اسم» وَزنُه: افْعٌ، والذاهبُ منه الواو؛ لأنه من: سَمَوت، وجَمْعُه

---

(١) في (م): استغناء.

(٢) في (ظ): بالإلصاق.

(٣) هو أبو زكريا الفرَّاء. وقد تحرفت كلمة «زياد» في النسخ و (م) إلى: «وثاب».

(٤) ينظر المحرر الوجيز ١/ ٦٢، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٣.

(٥) هو امرؤ القيس، والبيت في ديوانه ص ١٧٦. وشطره الثاني: تصوّب فيه العين طوراً وترتقي، قال شارحه: يقول: رُحنا بفرس كأنه ابنُ الماء في خفته وسرعة عَدْوِه. وابن الماء طائر.

(٦) في (م): أو ما.

أسماءٌ، وتصغيره سُمَيٌّ. واختُلِف في تقدير أصله، فقيل: فِعْلٌ، وقيل: فُعْلٌ. قال الجوهريُّ: وأسماءٌ يكون جمعاً لهذا الوزن[١]، وهو مِثلُ جِذْع وأجْذاع، وقُفْل وأقْفال، وهذا لا تُدرَكُ صيغتُه إلا بالسَّماع. وفيه أربعُ لغات: اِسْمٌ، بالكسر، وأُسْمٌ، بالضم. قال أحمدُ بنُ يحيى[٢]: مَن ضَمَّ الألفَ، أخذَه مِن: سَمَوتُ أسمُو، ومَن كَسَرَ، أخَذَه مِن: سَمِيتُ أسمَى[٣]. ويقال: سِمٌ وسُمٌ[٤]، ويُنشَدُ:

واللهُ أسماكَ سُماً مُبارَكا ... آثَرَكَ اللهُ به إيثارَكا

وقال آخرُ:

وعامُنا أعجَبَنا مُقَدَّمُهْ ... يُدْعَى أبا السَّمْحِ وقِرضابٌ سُمُهْ

مُبتَرِكاً لكلِّ عَظْمٍ يَلْحُمُهْ

قَرْضَبَ الرجلُ: إذا أكلَ شيئاً يابساً، فهو قِرضابٌ. سُمُهْ: بالضم والكسر جميعاً. ومنه قولُ الآخر:

باسم الذي في كلِّ سُورةٍ سُمُهْ[٥]

وسُكِّنَتِ السين من «باسم» اعتلالاً على غير قياس، وأَلِفُه أَلِفُ وَصْلٍ، وربما جَعَلَها الشاعرُ ألفَ قَطْعٍ للضرورة، كقول الأحوص[٦]:

وما أنا بالمَخْسُوسِ في جِذْمِ مالكٍ ... ولا مَنْ تَسَمَّى ثم يَلتزمُ الإسما

السادسة عشرة: تقولُ العربُ في النَّسب إلى الاسمِ: سُمويٌّ، وإن شِئتَ: اسْمِيٌّ؛

---

(١) في الصحاح (سما): وأسماء يكون جمعاً لهذين الوزنين.

(٢) هو إمام النحو ثعلب، أبو العباس، البغدادي. مات سنة (٢٩١هـ). السير ١٤/ ٥.

(٣) في معجم متن اللغة: سَمِيَ، كَرَضِيَ. وسَمَى، كرَمَى: لغتان في سما يسمو. وينظر الصحاح (سما، سلا، علا).

(٤) وذكر أبو البركات الأنباري في الإنصاف ١/ ١٦، وأبو البقاء العكبري في الإملاء ١/ ٥، وغيرُهما، لغة خامسة، وهي: سُمى، مثل ضحى، وعُلى.

(٥) ما سلف من الرجز أورده أبو البركات الأنباري في الإنصاف ١/ ١٥ ـ ١٦، وابن منظور في اللسان (سما)، وأورد بعضَه ابن جني في المنصف ١/ ٦٠، وابن الشجري في أماليه ٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٦) هو عبد الله بن محمد بن عبيد الله، أبو عاصم الأنصاري، من شعراء بني أمية. السير ٤/ ٥٩٣. والبيت في ديوانه ص ١٩٣.

تركتَه على حاله. وجمعُه أسماءٌ، وجمعُ الأسماءِ أسامٍ. وحكى الفرَّاءُ: أُعيذُكَ بأسماواتِ الله[١].

السابعة عشرة: اختلفوا في اشتقاق الاسم على وجهين: فقال البصريون: هو مَشتَقٌّ من السُّمُوّ، وهو العُلُوُّ والرِّفْعة، فقيل: اسم، لأنَّ صاحبَه بمنزلة المُرتَفِع به. وقيل: لأنَّ الاسمَ يسمو بالمُسَمَّى، فيرفَعُه عن غيره. وقيل: إنما سُمِّيَ الاسمُ اسماً، لأنه علا بقوَّته على قِسْمَي الكلام: الحرفِ والفعلِ، والاسمُ أقوى منهما بالإجماع، لأنه الأصلُ، فَلِعُلُوِّه عليهما، سُمِّيَ اسماً. فهذه ثلاثةُ أقوال.

وقال الكوفيون: إنه مُشتَقٌّ من السِّمَة، وهي العلامةُ، لأنَّ الاسمَ علامةٌ لمن وُضِعَ له. فأصلُ «اسم» على هذا: وسم. والأوَّلُ أصحُّ؛ لأنه يقال في التصغير: سُمَيٌّ. وفي الجمع: أسماءٌ. والجمعُ والتَّصغيرُ يَرُدَّانِ الأسماء[٢] إلى أصولها، فلا يقال: وُسَيمٌ، ولا أوسامٌ. ويَدُلُّ على صِحَّته أيضا فائدةُ الخلاف، وهي:

الثامنة عشرة: فإنَّ مَنْ قال: الاسمُ مُشتَقٌّ من العُلُوِّ، يقول: لم يَزَلِ اللهُ سبحانه موصوفاً قبلَ وجودِ الخَلْقِ وبعدَ وجودِهم، وعند فنائِهم، ولا تأثيرَ لهم في أسمائه ولا صفاته، وهذا قولُ أهلِ السُّنَّة. ومَنْ قال: الاسمُ مُشتَقٌّ من السِّمَةِ، يقول: كان اللهُ في الأزَلِ بلا اسمٍ ولا صفةٍ، فلما خَلَقَ الخَلقَ، جعلوا له أسماءً وصفاتٍ، فإذا أفناهم، بَقِيَ بلا اسمٍ ولا صفةٍ، وهذا قولُ المعتزلة. وهو خلافُ ما أجمعَت عليه الأمَّةُ، وهو أعظمُ في الخطأ مِن قولهم: إنَّ كلامَه مخلوقٌ، تعالى اللهُ عن ذلك. وعلى هذا الخلافِ وقع الكلامُ في الاسمِ والمُسَمَّى، وهي:

التاسعة عشرة: فذهب أهلُ الحقِّ ـ فيما نقل القاضي أبو بكر بنُ الطَّيِّب ـ إلى أنَّ الاسمَ هو المُسَمَّى، وارتضاه ابنُ فُورَك[٣]، وهو قولُ أبي عُبيدةَ وسيبويه.

فإذا قال قائلٌ: اللهُ عالمٌ، فقوله دالٌّ على الذاتِ الموصوفةِ بكونه عالماً، فالاسمُ كونه عالماً، وهو المُسمَّى بعينه. وكذلك إذا قال: اللهُ خالقٌ، فالخالقُ هو الربُّ، وهو بعينه الاسمُ. فالاسمُ عندهم هو المُسمَّى بعينه مِن غير تَفْصيلٍ.

---

(١) الصحاح للجوهري (سما). وينظر تاج العروس ١٠/ ١٨٤.

(٢) في (م): الأشياء.

(٣) أبو بكر محمد بن الحسن الأصبهاني، صنف التصانيف الكثيرة، كان أشعريًا، رأساً في فن الكلام، توفي سنة (٤٠٦). سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢١٤ ووفيات الأعيان ٤/ ٢٧٢.

قال ابن الحصَّار: مَنْ ينفي الصفاتِ من المبتدِعةِ يَزعُمُ أَنْ لا مدلولَ للتَّسمياتِ إلا الذاتُ، ولذلك يقولون: الاسمُ غيرُ المُسمَّى، ومَنْ يُثْبِتُ الصفاتِ، يُثْبِتُ للتَّسمياتِ مدلولاتٍ هي أوصافُ الذات، وهي غيرُ العبارات، وهي الأسماءُ عندهم. وسيأتي لهذا[١] مزيدُ بيان في «البقرة» و«الأعراف» إن شاء الله تعالى[٢].

المُوفية عشرين: قولُه: الله، هذا الاسمُ أكبرُ أسمائه سبحانه وأجمعُها[٣]، حتى قال بعضُ العلماء: إنه اسمُ الله الأعظمُ[٤]، ولم يَتسمَّ[٥] به غيرُه، ولذلك لم يُثَنَّ، ولم يُجمَع. وهو أحدُ تأويلَي قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أي: مَن تَسَمَّى باسمه الذي هو «الله». فاللهُ اسمٌ للموجود الحقِّ الجامع لصفات الإلهيَّة، المنعوت بِنُعوت الرُّبوبيَّةِ، المنفرد بالوجود الحقيقيِّ، لا إلهَ إلا هو سبحانه. وقيل: معناه: الذي يَستَحِقُّ أن يُعبَدَ. وقيل: معناه: واجبُ الوجود الذي لم يَزَل ولا يزالُ، والمعنى واحدٌ.

الحادية والعشرون: واختلفوا في هذا الاسمِ: هل هو مُشتَقٌّ، أو موضوعٌ للذات عَلَم؟.

فذهب إلى الأوَّل كثيرٌ من أهل العلم. واختلفوا في اشتقاقه وأصلِهِ. فروى سيبويهِ عن الخليل[٦]، أنَّ أصلَه إلاه، مثل فِعَال، فأُدخِلَت الألفُ واللامُ بدلاً من الهمزة. قال سيبويهِ: مثل: الناس، أصلُه أناس. وقيل: أصلُ الكلمةِ: لاه، وعليه دَخَلتِ الألفُ واللام للتَّعظيمِ، وهذا اختيارُ سيبويهِ[٧]. وأُنشِدَ:

---

(١) في (م): لهذه.

(٢) عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، وعند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(٣) نقله البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٧ عن الحليمي.

(٤) أخرج ابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٢٧٣ عن جابر بن زيد قال: اسم الله الأعظم الله، وحكاه أيضاً الماوردي في تفسيره ١/ ٥٠ عن أبي حنيفة.

(٥) في (د) و(ز): يسمَّ.

(٦) هو ابنُ أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي، البصري، صاحب العربية، ومنشىء علم العروض. مات سنة بضع وستين ومئة، وقيل: بقي إلى سنة سبعين ومئة. سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٢٩.

(٧) ينظر الكتاب ٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ١٥٢، واشتقاق أسماء الله للزجاجي ٢٣ ـ ٢٩، والخصائص لابن جني ٢/ ٢٨٨، والأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٥٨.

لاهِ ابنُ عَمِّك لا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ عنِّي ولا أنتَ دَيَّانِي فتَخْزُوني[١]

كذا الرواية: فتخزوني، بالخاء المعجمة، ومعناه: تَسُوسُني.

وقال الكِسائيُّ والفرَّاءُ: معنى «بسم الله»: بسم الإله؛ فحذفوا الهمزةَ، وأدغموا اللَّامَ الأولى في الثانية، فصارتا لاماً مشدَّدةً[٢]؛ كما قال عز وجل: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ [الكهف:٣٨]. ومعناه: لكنْ أنا، كذلك قرأها الحسنُ[٣].

ثم قيل: هو مُشتَقٌّ من «وَلِهَ»: إذا تحيَّرَ. والوَلَهُ: ذهابُ العقل. يقال: رجلٌ وَالِهٌ، وامرأةٌ والِهةٌ ووالِهٌ. وماءٌ مُوْلَهٌ: أُرْسِلَ في الصحارَى. فاللهُ سبحانه تَتحيَّرُ الألبابُ وتذهبُ في حقائق صفاته، والفِكَرُ في معرفته. فعلى هذا أصلُ «إلاه»: «وِلاه». وأنَّ الهمزةَ مُبدَلَةٌ مِن واو، كما أُبدِلَت في إشاح وَوِشاح، وإسادة وَوِسادة. ورُوي عن الخليل[٤].

ورُوي عن الضحَّاك أنه قال: إنما سُمِّيَ «اللهُ» إلٰهاً؛ لأنَّ الخَلقَ يتألَّهون إليه في حوائجهم، ويتضرَّعون إليه عند شدائِدِهم، وذُكِرَ عن الخليل بن أحمدَ أنه قال: لأنَّ الخَلقَ يَألَهُون إليه، بنصب اللام. ويَألِهُون أيضاً، بكسرها. وهما لغتان.

وقيل: إنه مُشتَقٌّ من الارتفاع، فكانت العربُ تقول لكلِّ شيء مرتفعٍ: لاهاً، فكانوا يقولون إذا طَلَعتِ الشمسُ: لاهَتْ[٥].

وقيل: هو مُشتَقٌّ من أَلَهَ الرجلُ: إذا تَعَبَّدَ. وتَأَلَّهَ: إذا تنسَّك، ومِن ذلك قولُه تعالى: «وَيَذَرَكَ وَإِلاهَتَكَ» على هذه القراءة[٦]، فإنَّ ابنَ عباس وغيرَه قالوا: وعبادتَك[٧].

---

(١) البيت لذي الإصبع العدواني، وهو في المفضليات ص١٦٠، والخصائص ٢/ ٢٨٨ وأمالي ابن الشجري ٢/ ١٩٥، والإنصاف لأبي البركات ابن الأنباري ١/ ٣٩٤.

(٢) ينظر اشتقاق أسماء الله الحسنى ص ٢٣.

(٣) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٨٠، وابن جني في المحتسب ٢/ ٢٩ وزادا نسبتها إلى أبي بن كعب.

(٤) المحرر الوجيز ١/ ٦٣، وينظر اشتقاق أسماء الله ٢٦ ـ ٢٧.

(٥) من قوله: ورُوي عن الضحاك... من تفسير أبي الليث السمرقندي ١/ ٧٦.

(٦) الأعراف: ١٢٧، وذكر هذه القراءة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٤٥، وابن جني في المحتسب ١/ ٢٥٦.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ١٢١ـ١٢٢، وأورد له قول رؤبة:

لله درُّ الغانياتِ المُدَّهِ سَبَّحْنَ واسترجَعْنَ من تألُّهي

قالوا: فاسمُ اللهِ مُشتَقٌّ من هذا[١]، فاللهُ سبحانه معناه: المقصودُ بالعبادة، ومنه قولُ الموحِّدين: لا إلهَ إلا اللهُ، معناه: لا معبودَ غيرُ الله. و«إلا» في الكلمةِ بمعنى «غير»، لا بمعنى الاستثناء.

وزَعَمَ بعضُهم أنَّ الأصلَ فيه «الهاءُ» التي هي الكنايةُ عن الغائب، وذلك أنهم أثبتوه موجوداً في فِطَرِ عقولهم، فأشاروا إليه بحرفِ الكِناية، ثم زِيدَت فيه لامُ الملك، إذ قد عَلِمُوا أنه خالقُ الأشياء ومالِكُها، فصار «لَهُ»، ثم زِيدَت فيه الألفُ واللامُ تعظيماً وتفخيماً[٢].

القول الثاني ذَهَبَ إليه جماعةٌ من العلماء أيضاً، منهم الشافعيُّ وأبو المعالي[٣] والخطَّابي والغزالي[٤] والمفضَّل وغيرُهم. ورُوِيَ عن الخليلِ وسيبويهِ: أنَّ الألفَ واللامَ لازِمةٌ له، لا يجوزُ حذفُهما منه[٥]. قال الخطَّابيُّ: والدليلُ على أنَّ الألفَ واللامَ مِن بِنيَةِ هذا الاسم، ولم يدخُلا للتعريف، دخولُ حرفِ النِّداء عليه، كقولك: يا اللهُ، وحروفُ النِّداء لا تَجتمِعُ مع الألف واللام للتعريف، ألا ترى أنَّكَ لا تقولُ: يا الرحمنُ، ولا: يا الرحيمُ، كما تقول: يا اللهُ، فدلَّ على أنهما من بِنيَةِ الاسمِ. والله أعلم[٦].

الثانية والعشرون: واختلفوا أيضاً في اشتقاقِ اسمه «الرحمن»، فقال بعضُهم: لا اشتقاقَ له؛ لأنه من الأسماءِ المُختصَّةِ به سبحانه، ولأنه لو كان مُشتقًّا من الرحمة، لاتَّصلَ بذِكرِ المرحوم، فجاز أن يقال: اللهُ رَحمنٌ بعبادِه، كما يقال: رحيمٌ بعبادِه. وأيضاً لو كان مُشتقًّا مِن الرَّحمةِ، لم تُنكِرْه العربُ حين سَمِعُوه، إذ كانوا لا يُنكِرون

(١) هو بنحوه في تفسير ابن عطية ١/ ٦٣، وأورد خلاله قول رؤبة المذكور في التعليق قبله.

(٢) من قوله: قول الموحدين.. من كلام الخطابي، ونقله عنه البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٨.

(٣) هو عبد الملك بن أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني، إمامُ الحرمين، شيخ الشافعية، توفي سنة (٤٧٨هـ). السير ١٨/ ٤٦٨.

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الطوسي، الشافعي، صاحب الإحياء وغيره من التصانيف. توفي سنة (٥٠٥هـ). السير ١٩/ ٣٢٢.

(٥) ذكر قول الخليل البيهقيُّ في الأسماء والصفات ١/ ٥٨ نقلا عن الخطابي.

(٦) نقل كلام الخطابي البيهقيُّ في الأسماء والصفات ١/ ٥٩.

رحمةَ ربِّهم، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] الآية[١].

ولمَّا كَتَبَ عليٌّ رضي الله عنه في صُلحِ الحُدَيبِيةِ بأمرِ النبيِّ ﷺ: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ قال سُهَيل بن عمرو: أمَّا ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ فما ندري ما ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾! ولكنِ اكتُبْ ما نَعرِفُ: باسمِكَ اللَّهُمَّ. الحديث[٢].

قال ابنُ العربي: إنماجَهِلُوا الصِّفةَ دونَ الموصوف، واستدلَّ على ذلك بقوله[٣]: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]؟ ولم يقولوا: ومنِ الرحمنُ؟ قال ابنُ الحصَّار: وكأنَّه رحمه اللهُ لم يَقرَأ الآيةَ الأخرى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

وذهب الجمهورُ من الناس إلى أنَّ «الرحمن» مُشتَقٌّ مِنَ الرَّحمةِ، مَبنيٌّ على المبالغة، ومعناه: ذو الرَّحمةِ الذي لا نظيرَ له فيها، فلذلك لا يُثَنَّى، ولا يُجمَعُ، كما يُثَنَّى «الرحيم»، ويُجمَعُ[٤].

قال ابنُ الحصَّار: ومما يَدُلُّ على الاشتقاق ما خَرَّجَه الترمذيُّ وصَحَّحه عن عبد الرحمن بن عَوف، أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «قال اللهُ عزَّ وجلَّ: أنا الرحمنُ، خَلَقتُ الرَّحِمَ، وشَقَقتُ لها اسماً منِ اسمي، فمَنْ وَصَلَها، وَصَلْتُه، ومَنْ قَطَعَها، قَطَعْتُه»[٥]. وهذا نصٌّ في الاشتقاق، فلا معنى للمخالفةِ والشِّقاقِ، وإنكارُ العرب له لِجَهلِهم بالله، وبما وَجَبَ له[٦].

الثالثة والعشرون: زَعَمَ المُبَرِّدُ ـ فيما ذكر ابنُ الأنباريِّ في كتاب «الزاهر»[٧] له ـ

---

(١) من كلام الخطابي، نقله عنه البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ١٣٥ ـ ١٣٦.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٣٨٢٧)، والبخاري (٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢) من حديث المسور ومروان، ومسلم (١٧٨٤) من حديث أنس.

(٣) في (م): بقولهم.

(٤) الأسماء والصفات ١/ ١٣٦.

(٥) سنن الترمذي (١٩٠٧)، وهو في مسند أحمد (١٦٨٦).

(٦) وقد ردَّ ابن جرير الطبري في تفسيره ١/ ١٣٠ـ١٣٢ على من قال: إن العرب كانت لا تعرف «الرحمن»، وأوردَ من أشعارهم ما يبيِّنُ أن هذه التسمية كانت معروفة عندهم، وأن إنكارهم هذا إنما هو جحود وتعنت في كفرهم.

(٧) ١/ ٥٩، وقال فيه ابنُ الأنباريِّ: سمعتُ أبا العباس... ويعني به شيخَه ثعلب. فذهب وهم المصنف=

أنَّ «الرحمن» اسمٌ عِبْرانيٌّ، فجاء معه بـ«الرحيم». وأنشد:

لن تُدرِكُوا[١] المَجدَ أو تَشرُوا عَبَاءَكُمُ بالخَزِّ أو تَجعَلُوا اليَنْبُوتَ ضَمْرَانا

أو تَترُكُونَ إلى القَسَّيْنِ هِجرَتَكُم ومَسْحَكُم صُلْبَهُم رَحمانَ قُربانا[٢]

قال أبو إسحاقَ الزجَّاجُ في «معاني القرآن»: وقال أحمدُ بن يحيى[٣]: «الرحيم» عَرَبيٌّ، و«الرحمن» عِبْرانيٌّ، فلهذا جمعَ بينهما. وهذا القولُ مرغوبٌ عنه.

وقال أبو العباس: النَّعتُ قد يَقَعُ للمدحِ، كما تقول: قال جريرٌ الشاعرُ. وروى مَطَر[٤]، عن قتادةَ في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ قال: مَدَحَ نفسَه[٥]. قال أبو إسحاقَ: وهذا قولٌ حَسَنٌ. وقال قُطرُبٌ: يجوزُ أن يكونَ جمعَ بينهما للتوكيد[٦]. قال أبو إسحاق: وهذا قولٌ حَسَنٌ، وفي التوكيد أعظمُ الفائدة، وهو كثيرٌ في كلام العرب، يستغني[٧] عن الاستشهاد. والفائدةُ في ذلك ما قاله محمدُ بن يزيدَ: إنه تَفَضُّلٌ بعد تَفَضُّلٍ، وإنعامٌ بعد إنعامٍ، وتَقويةٌ لِمطامِعِ الراغبين، ووَعدٌ لا يَخِيبُ آمِلُه[٨].

الرابعة والعشرون: واختلفوا: هل هما بمعنًى واحدٍ، أو بمعنيين؟ فقيل: هما

= إلى أنه أبو العباس المبرِّد، فقال: زعم المبرِّد . . . وقد صرَّحَ به أبو القاسم الزَّجَّاجي في اشتقاق أسماء الله ص ٤٢ ـ ٤٣.

(١) في (د) (ز): لوتتركوا، وفي (ظ): لن يتركوا، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في الزاهر.

(٢) البيتان لجرير، من قصيدة يهجو بها الأخطل، وهما في ديوانه ١/ ١٦٧، ببعض اختلاف، وذكرهما الزجَّاجي في اشتقاق أسماء الله ص ٤٣، وذكر الثاني منهما الماوردي في تفسيره ١/ ٥٢. وقوله: اليَنبُوت: هو شجر الخَشخاش، وشجرٌ آخرُ عِظام، أو شجرُ الخَرُّوب. وقوله: ضَمران: هو نبت من دِقِّ الشجر. القاموس (نبت) (ضمر).

(٣) هو أبو العباس ثعلب، ولم نجد قول الزجاج هذا في كتابه معاني القرآن. وهو عند النحاس كما سنذكر.

(٤) هو ابنُ طَهْمان الورَّاق، أبو رجاء الخراساني، نزيل البصرة، كان يكتب المصاحف ويتقن ذلك، توفي سنة (١٢٩هـ). السير ٥/ ٤٥٢. وقد تحرف اسم «مطر» في (م) و (د) إلى: مطرّف.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٣ مطولاً، من طريق مطر الوراق عن قتادة، ونسبه لعبد بن حُميد.

(٦) ذكره ابن الأنباريّ في الزاهر ١/ ٥٨.

(٧) في (م): ويستغني.

(٨) من قوله: وقال أحمد بن يحيى من معاني القرآن للنحاس ١/ ٥٥ و٥٦، بتقديم وتأخير وليس للزجاج.

بمعنًى واحد، كندمانٍ ونَديم. قاله أبو عُبيدة[١]. وقيل: ليس بناءُ فَعلان كفَعيل، فإنَّ فعلان لا يَقَعُ إلا على مُبالغةِ الفِعلِ، نحو قولك: رجلٌ غضبانُ، للممتلئ غَضَباً. وفعيل قد يكون بمعنى الفاعلِ والمفعول. قال عَمَلَّس[٢]:

فأما إذا عَضَّتْ بك الحربُ عَضَّةً فإنكَ مَعطوفٌ عليكَ رَحِيمُ

فـ«الرحمن» خاصُّ الاسمِ، عامُّ الفعل. و«الرحيمُ» عامُّ الاسمِ، خاصُّ الفعل. هذا قولُ الجُمهور[٣].

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: «الرحمن»: اسمٌ عامٌّ في جميع أنواع الرحمة، يختصُّ به الله. «والرحيم»: إنما هو في جهة المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]. وقال العرزميُّ[٤]: «الرحمنُ» بجميع خَلْقِه في الأمطار، ونِعَمِ الحواسِّ، والنِّعَمِ العامَّة. «الرحيمُ» بالمؤمنين في الهداية لهم، واللُّطفِ بهم[٥].

وقال ابنُ المبارك: «الرحمنُ» إذا سُئِلَ أعطى. و«الرحيمُ» إذا لم يُسأَلْ غَضِبَ[٦].

وروى ابنُ ماجه في «سننه»، والترمذيُّ في «جامعه»، عن أبي صالح، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن لَم يَسأَلِ الله، يَغضَبْ عليه». لفظُ الترمذي. وقال ابن ماجه: «مَنْ لَم يَدْعُ اللهَ سبحانه، غَضِبَ[٧] عليه»[٨]. وقال: سألتُ أبا زُرعةَ عن أبي صالح هذا، فقال: هو الذي يقال له: الفارسيُّ، وهو خُوزي، ولا أعرِفُ اسمَه. وقد أخذَ بعضُ الشعراء هذا المعنى، فقال:

---

(١) في مجاز القرآن ١/ ٢١. وانظر المصدر السابق للنحاس.

(٢) هو عَمَلَّس بنُ عقيل، والبيت في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ٤، واللسان (رحم).

(٣) الأسماء والصفات ١/ ١٤١.

(٤) عبد الملك بن أبي سليمان، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الله، الكوفي، توفي سنة (١٤٥هـ). سير أعلام النبلاء ٦/ ١٠٩.

(٥) المحرر الوجيز ١/ ٦٣ ـ ٦٤.

(٦) ذكره الحافظ في فتح الباري ٨/ ١٥٥.

(٧) في (د): يغضب.

(٨) سنن ابن ماجه (٣٨٢٧)، وسنن الترمذي (٣٣٧٣)، وهو في مسند أحمد (٩٧٠١).

اللهُ يَغضَبُ إنْ تركتَ سُؤالَه وبُنيُّ آدمَ حين يُسألُ يَغْضَبُ[١]

وقال ابنُ عباس: هما اسمانِ رقيقان، أحدُهما أرقُّ من الآخر[٢]، أي: أكثرُ رحمةً.

قال الخطَّابيُّ: وهذا مُشكِلٌ، لأنَّ الرِّقَّةَ لا مَدخَلَ لها في شيء من صفاتِ الله تعالى. وقال الحسينُ بن الفَضْل البَجَلي[٣]: هذا وَهَمٌ من الراوي؛ لأنَّ الرِّقَّةَ ليست من صفاتِ الله تعالى في شيء، وإنما هما اسمانِ رفيقانِ، أحدُهما أرفَقُ من الآخر، والرِّفقُ من صفاتِ الله عز وجل. قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ رفيقٌ، يُحِبُّ الرِّفقَ، ويُعطِي على الرِّفقِ ما لا يُعطِي على العُنفِ»[٤].

الخامسة والعشرون: أكثرُ العلماء على أنَّ «الرحمن» مختصٌّ بالله عزَّ وجلَّ، لا يجوزُ أن يُسَمَّى به غيرُه. ألا تراه قال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾[الإسراء: ١١٠]، فعادلَ به الاسمَ الذي لا يَشْرَكُه فيه غيرُه؟[٥]. وقال: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، فأخبر أنَّ «الرحمن» هو المُستحِقُّ للعبادة جلَّ وعزَّ. وقد تَجاسَرَ مُسَيلِمَةُ الكذَّابُ ـ لعنه الله ـ فتَسمَّى برحمانِ اليمامة[٦]، ولم يَتَسمَّ به حتى قَرَعَ مَسامِعَه [٧]نَعتُ «الكذَّاب»[٧]، فألزمه اللهُ تعالى نَعتَ «الكذَّابِ» لذلك، وإن كان كلُّ كافرٍ كاذباً، فقد صارَ هذا الوَصفُ لمُسَيلِمةَ عَلَماً يُعرَفُ به، ألزمَه اللهُ إيَّاه.

وقد قيلَ في اسمه «الرحمن»: إنه اسمُ اللهِ الأعظمُ. ذكره ابنُ العربيِّ.

---

(١) لم نقف عليه، وذكره المناوي في فيض القدير ٤/ ٤٩٨.

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ١٣٩ من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قولَه. وذكر الحافظ في الفتح ١٣/ ٣٥٩ أن هذا الحديث لا يثبت، لأنه من رواية الكلبي، وهو متروك الحديث.

(٣) اللغوي أبو علي البجلي، الكوفي. توفي سنة (٢٨٢هـ). سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤١٤.

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٣) من حديث عائشة. وما نقله المصنف من كلام الخطابي هو في الأسماء والصفات ١/ ١٤٠.

(٥) الصحاح (رحم).

(٦) سلف ص ١٤٩.

(٧-٧) ليس في النسخ وهو من (م).

السادسة والعشرون: «الرحيم» صِفةٌ مطلَقةٌ للمخلوقين. ولما في «الرحمن» من العموم، قُدِّمَ في كلامنا على «الرحيم» مع موافقةِ التنزيل. قاله المَهدَويُّ.

وقيل: إنَّ معنى «الرحيم»: أي: بالرحيم وَصَلْتُم إلى الله، وإلى الرحمن، فـ«الرحيم» نعتُ محمد ﷺ، وقد نَعَتَه تعالى بذلك، فقال: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فكأنَّ المعنى أن يقولَ: بسم الله الرحمنِ وبالرحيمِ. أي: وبمحمد ﷺ وَصَلتُم إليَّ، أي: باتِّباعِه، وبما جاء به، وَصَلتُم إلى ثوابي وكرامتي، والنَّظَرِ إلى وجهي. والله أعلم.

السابعة والعشرون: رُوِيَ عن عليِّ بن أبي طالب كرَّمَ اللهُ وجهَه أنَّه قال في قوله: ﴿بسم الله﴾: إنه شفاءٌ مِن كلِّ داء، وعَونٌ على كلِّ دَواء. وأما ﴿الرحمٰن﴾ فهو عَونٌ لكلِّ مَن آمنَ به، وهو اسمٌ لم يُسَمَّ به غيرُه. وأما ﴿الرحيم﴾ فهو لمن تابَ وآمنَ وعَمِلَ صالحاً[١].

وقد فسَّره بعضُهم على الحروف، فرُوِيَ عن عثمانَ بنِ عفَّان أنه سألَ رسولَ الله ﷺ عن تفسير ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾، فقال: «أما الباء، فبلاءُ اللهِ ورَوْحُه ونَضْرَتُه وبهاؤه، وأما السينُ، فسناءُ الله، وأما الميم، فَمُلْكُ الله، وأما الله، فلا إلهَ غيرُه، وأما الرحمنُ، فالعاطفُ على البَرِّ والفاجرِ مِن خَلقِه، وأما الرحيمُ، فالرفيقُ بالمؤمنين خاصَّةً»[٢].

ورُوِيَ عن كعب الأحبار[٣] أنه قال: الباءُ بهاؤه، والسينُ سناؤه، فلا شيءَ أعلى منه، والميمُ مُلْكُهُ، وهو على كلِّ شيء قديرٌ، فلا شيءَ يُعازُّه[٤].

وقد قيل: إنَّ كلَّ حَرْفٍ هو افتتاحُ اسمٍ من أسمائه، فالباءُ مِفتاحُ اسمه بصير، والسينُ مِفتاحُ اسمه سميع، والميمُ مِفتاحُ اسمه مليك، والألفُ مفتاحُ اسمه الله، واللاَّمُ مِفتاحُ اسمه لطيف، والهاءُ مِفتاحُ اسمه هادي، والراءُ مِفتاحُ اسمه رازق،

---

(١) تفسير أبي الليث السمرقندي ١/ ٧٧.

(٢) لا أصل له.

(٣) هو كعب بن ماتع، أبو إسحاق الحميري اليماني، الحبر، كان يهوديًا، فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، وكان يحدِّث عن الكتب الإسرائيلية، توفي في أواخر خلافة عثمان. السير ٣/ ٤٨٩.

(٤) في (ظ): يعارضه، والخبر من الإسرائيليات.

والحاءُ مِفتاحُ اسمه حليم، والنونُ مِفتاحُ اسمه نور. ومعنى هذا كلِّه دعاءُ اللهِ تعالى عند افتتاح كلِّ شيء[١].

الثامنة والعشرون: واختُلِفَ في وصل «الرحيم» بـ«الحمد لله»، فرُوِيَ عن أمِّ سَلَمةَ، عن النبيِّ ﷺ: «الرحيمْ الحمد» يسكِّنُ الميم، ويَقِفُ عليها، ويَبتدئ بألف مقطوعة. وقَرأ به قومٌ من الكوفيين.

وقرأ جمهورُ الناس: «الرحيمِ الحمد» تُعرَبُ «الرحيم» بالخَفضِ، وبوصلِ الألف من «الحمد».

وحكى الكِسائيُّ عن بعض العرب أنها تُقرأُ: «الرحيمَ الحمد» بفتح الميم، وصِلةِ الألف، كأنه سُكِّنَتِ الميمُ، وقُطِعَتِ الألفُ، ثم أُلقِيَتْ حركتُها على الميم، وحُذِفَتْ.

قال ابنُ عطية[٢]: ولم تُرْوَ هذه قراءةً عن أحدٍ فيما عَلِمتُ. وهذا نَظَرُ يحيى بنِ زياد في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١ ـ ٢][٣].

---

(١) ليس في هذه الأقوال ما يصح.

(٢) المحرر الوجيز ١/ ٦٤.

(٣) معاني القرآن للفراء (وهو يحيى بن زياد) ١/ ٩.